

الشعبوية في الولايات المتحدة الأمريكية إنحسار؟ أم صعود مؤجل؟

حسين عدنان هادي*

باحث من العراق

* مركز حمورابي للبحوث والدراسات

الاستراتيجية

hussein.adnan61@yahoo.com

الملخص:

تأسست الشعبوية بشكل عام على افكار واطروحات عديدة من شأنها ان تضع الشعبوية في خانة الايديولوجيات المعاصرة، ومن هذه الافكار العداء للمؤسسة الديمقراطية والنخبة والاجانب، وهي بذلك تشكل خطراً على النظام السياسي الديمقراطي وقيم الديمقراطية الليبرالية، في الولايات المتحدة على ما يبدو ان الخطر أكبر على اعتبار ان الشعبوية كظاهرة بشكل عام بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية، وتصاعدت في ظل وصول ترامب للبيت الابيض، وعلى هذا الاساس تقع الشعبوية الأمريكية في فكرة الطيف السياسي في أقصى اليمين، وتعتبر عن توجهات اليمين المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية. لذا تُعد الشعبوية في الولايات المتحدة الأمريكية ضد النوعي للديمقراطية، وتعتبر اكثر دقة الشعبوية ضد الديمقراطية الليبرالية.

الكلمات المفتاحية: «الشعبوية، الولايات المتحدة الأمريكية، الديمقراطية الليبرالية».

Populism in the United States of America Decline or Deferred Rise

Hussain Adnan Hadi

Researcher from Iraq

Researcher at Hammourabi Center for Strategic Studies and Researches

Abstract:

Populism was generally founded on many ideas and thesis that would put populism in the category of contemporary ideologies, such as hostility to the democratic establishment, the elite and foreigners, and thus pose a threat to the democratic political system and the values of liberal democracy, in the

United States, the danger seems to be greater considering that populism as a phenomenon in general began in the United States of America, and escalated under Trump's arrival in the White House, and on this basis the American populism is located in the idea of the political spectrum at the extreme right, and expresses the directions of the right extremist in the USA. Populism in the United States of America is therefore a qualitative anti-democratic, more precisely populism against liberal democracy.

Key words: «populism, the United States of America, liberal democracy».

المقدمة:

ان الظاهرة الشعبوية ليست حديثة العهد، اذ عرفها العالم البشري في بداياته، وتجلت في ارهاصات نشوء العقل السياسي الحديث والمعاصر، ففي فرنسا ابان الجمهورية الثالثة، كان الجنرال (جورج بولانجيه) نموذجاً لامعاً للقائد الشعبوي، وعرف عن (بنيتو موسوليني) ونظامه الفاشي شعبوية فاقعة، وفي المانيا والعقيدة النازية و(دولف هتلر) ظهرت الشعبوية بملامح واضحة، كما الاتحاد السوفيتي عرفها ابان حكم (جوزيف ستالين)، مروراً بالقادة الشعبويين في العالم كبيرون ومعمر القذافي وهوكو تشافيز وصادام حسين ودونالد ترامب وغيرهم.

إشكالية البحث: كيف أثرت الشعبوية في الولايات المتحدة الامريكية في صياغة وتشكيل العقل السياسي الامريكي، وماهي ابرز الاطروحات والافكار التي ارتكزت عليها؟

فرضية البحث: تُعد الشعبوية في الولايات المتحدة الامريكية نزعة لها أسس وافكار واطروحات وخطاب سياسي مؤثر، اسهمت بشكل كبير في تشكيل العقل السياسي الامريكي المعاصر، سواء كان ذلك التأثير في تبني الشعبوية والدفاع عنها، أو رفضها.

هيكلية البحث:

- الشعبوية - محاولة للفهم:
- الشعبوية في فكرة الطيف السياسي:
- اطروحات تفسير الظاهرة الشعبوية:
- الوعاء الايديولوجي للشعبوية الجديدة:
- يقظة الشعبوية وانحسار الديمقراطية في الولايات المتحدة الامريكية:
- المسيحية وتحديد مسار الشعبوية الامريكية الجديدة:

- المحافظون الجدد وخطاب الشعبوية الجديدة:
- خطاب الشعبوية الأمريكية الجديدة:
- مستقبل الشعبوية في الولايات المتحدة الأمريكية:

الشعبوية - محاولة للفهم:

تمت ترجمة المصطلح السوسيولوجي الفرنسي (populism) بالشعبوية او بالظاهرة الشعبوية وذلك على غرار وزن الفعلوية اينما ورد: اسلاموية، ماركسوية، علمانوية، عقلانوية الخ⁽¹⁾. ان صعوبة تحديد معنى الشعبوية يكمن في انها ليست مفهوماً واضحاً، لذلك تُحمل (منى خويص) مسؤولية بروز وتجدد ملامح الشعبوية في الوقت الحاضر، تعود في جزء كبير منها، الى ان البحث التاريخي لهذه الظاهرة، ترك وجهها التعريفي ملتبساً، وعرضة للخلط بينه وبين ظواهر وايدولوجيات أخرى شمولية⁽²⁾. في حين يطلق عبد (الاله بلقزيز) وصف الشعبوية على نزعة التفكير السياسي، تجنح لتقديس الشعب وعده مستودع الحقيقة المطلقة، ومناطق الخلاص النهائي من شرور العالم⁽³⁾. اما (تزفيتان تودوروف) فيرى ان الشكل الذي تُقدم به الشعبوية هو الغوغائية، اما في شأن محتواها الفكري، فيتركز حول بعض الثوابت⁽⁴⁾. اما (يان فيرنر مولر) فيرى ان الشعبويين ليسوا معادين للنخبة فحسب، ولكنهم معادون للتعدّد بشكل مبدئي. إن ادعاءهم الدائم يقول: نحن، ونحن فقط، من يمثل الشعب الحقيقي، ومواقفهم السياسية تنتهي مباشرة إلى تمييز أخلاقي بين الخطأ والصواب، وليس يميناً ويساراً فقط. فلا شعبوية بدون استقطاب أخلاقي⁽⁵⁾. اما في موسوعة السياسة فيرى فيها عبد الوهاب الكيالي، أن الشعبوية تيار سياسي مثالي يعتبر الرجوع الى الشعب والاعتماد الكامل على عفويته واندفاعه الثوري أساس العمل السياسي الناجح ووسيلة فعالة لتغيير المجتمع ودفعه باتجاه الثورة الكاملة⁽⁶⁾. والشعبوية على هذا الاساس غير (الشعبية) التي تعني الإيمان بالشعب والثقة به والاعتماد عليه واعتباره مصدر السلطة وحامي السيادة⁽⁷⁾.

الشعبوية في فكرة الطيف السياسي:

ظلت التفرقة بين اليمين واليسار في السياسة منذ ان ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر غامضة ومستعصية على الفهم، ومع ذلك لم تختف وتشتت بالاستمرار. فاختلّت الاراء والنظريات في تحديد الاتجاهات السياسية وكيفية تصنيفها، الامر الذي استقر عليه التمييز بين نوعين: التصنيفات الثنائية، والتصنيفات الرباعية، واذا كانت التصنيفات الرباعية قد استندت الى افكار وتصورات المفكر الأمريكي (لورنس لويل) عندما عدد الاتجاهات: محافظون، رجعيون، احرار، وتقدميون.

(1) محمد اركون، من فيصل التفرقة الى فيصل المقال: اين هو الفكر الاسلامي المعاصر، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، 1995، ص193.

(2) منى خويص، رجال الشرفاء: دراسة تحليلية للظاهرة الشعبوية، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2012، ص13.

(3) عبد الاله بلقزيز، الشعبوية وميتافيزيقيا الشعب، صحيفة الحياة، تاريخ النشر 2009/2/18.

(4) تزفيتان تودوروف، أعداء الديمقراطية الحميمون، ترجمة: غازي برو، ط1، دار الربيع، بيروت، 2015، ص146.

(5) يان فيرنر مولر، عشر أطروحات حول الشعبوية، ترجمة عن الألمانية: رشيد بوطيب، متاح على الرابط التالي: www.alaraby-co-uk.cdn.

(6) عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج7، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1995، ص481.

(7) المصدر نفسه، ص481.

وافكار الانكليزي (هانس ايزنك) في تقسيماته: محافظون، فاشيون، اشتراكيون، شيوعيون. فأن التصنيف الثنائي استند الى تقسيم الاتجاهات السياسية الى يمينية واتجاهات يسارية، وهو اقدم من كل التصنيفات التي جاءت بها الدراسات السياسية⁽⁸⁾.

(8) ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة علم السياسة، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان. الاردن، 2009، ص397.

وفي تسعينيات القرن التاسع عشر ظهرت الدعوة الى ان الفروق بين اليمين واليسار قد تلاشت، اذ قدم (جان بول سارتر) اراء تتسق مع هذه الاتجاه - الاتجاه الذي يزعم ان فكرة اليمين واليسار قد تلاشت، وتم التأكيد على الاطروحة نفسها اكثر من مرة من جانب مفكري اليمين، ولقد علق المؤرخ (ايميل شارتيه) في عام 1930، قائلاً: «عندما سئلت عما اذا كان الانقسام بين اليمين واليسار ما يزال له معنى، فان اول فكرة طفرت الى ذهني هي ان الشخص الذي يطرح السؤال ليس يسارياً»⁽⁹⁾. اما المفكر الايطالي (نوربرتو بويو) دافع عن استمرار التفرقة بين اليمين واليسار، اذ يرى انه عندما تتوازن الاحزاب او الايديولوجيات السياسية يشرع البعض في مناقشة جدوى التمييز بين اليسار واليمين، ولكن في الاوقات التي يصبح فيها احدهما من القوة بحيث يبدو وكأنه هو اللاعب الوحيد في السياسة، فان كلا الجانبين يكون له مصالح في مناقشة هذه الجدوى، ويكون للطرف الاقوى مصلحة في ان يعلن - كما فعلت مارغريت تاشر - انه لا يوجد بديل اخر - ويحاول الطرف الاخر في الغالب، وطالما ان روحه العامة لم تعد شعبية، ان يتبنى بعضاً من افكار اعدائه وينشرها بعدها اراءه الخاصة، وتكون الاستراتيجية المعهودة للطرف الخاسر هي محاولة التوصل الى صيغة توليفية من المواقف المتعارضة، بهدف انقاذ ما يمكن انقاذه من موقفه الخاص عن طريق النسج على منوال الموقف المعارض، ومن ثم محاولة تحييده. وبصور كل طرف نفسه على انه يتجاوز التمييز القديم بين اليمين واليسار، او يؤلف بين عناصر من هنا وهناك لخلق توجه جديد يتسم بالحيوية⁽¹⁰⁾. وعليه يمكن القول ان فكرة الطيف السياسي استمرت في التأثير على الفكر السياسي، لان السياسة بطبيعتها خلافية، فجوهر السياسية هو الصراع بين وجهات نظر متعارضة وبين سياسات متعارضة. كما يأتي اليمين واليسار من كلا الجانبين في الجسد السياسي، وعلى الرغم من ان معنى اليمين او معنى اليسار يمكن ان يتغير، الا انه لا يمكن ان يوجد شيء يظل على اليمين واليسار في آن واحد. فالتمييز بينهما كما يعتقد (انتوني جينز) استقطابي بطبيعته⁽¹¹⁾.

(9) نقلاً عن انتوني جينز، الطريق الثالث: تجديد الديمقراطية الاجتماعية، ترجمة: احمد زايد ومحمد محي الدين، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010، ص74.

(10) انتوني جينز، مصدر سبق ذكره، ص75.

(11) المصدر نفسه، ص75.

في الطيف السياسي يضم اليمين جماعات وتنظيمات واحزاب تعارض الافكار الاشتراكية وتنادي بالملكية الفردية، وهذه الافكار متباينة حول كيفية الحفاظ على

الوضع القائم، فمنهم من ذهب الى معارضة الاشتراكية معارضة كلية والتمسك بالوضع القائم وهؤلاء يطلق عليهم (اليمن المتطرف)، وآخرون قبلوا بإعطاء بعض التنازلات من اجل الاحتفاظ بالامور الجوهرية للوضع القائم وهؤلاء هم (المحافظون) او (اليمن المعتدل). اما اليسار ويضم جماعات وتنظيمات واحزاب تنادي بالاحذ بالمبادئ والافكار الاشتراكية وتعمل على زيادة تدخل الدولة في الحياة وشؤون الافراد ونشاطاتهم المختلفة، حيث ان البعض منهم من يؤمن بالتحول الثوري والراдикаلي وهؤلاء يمثلون (اليسار المتطرف)، في حين ان البعض الآخر يؤمن بالتحول التدريجي وهؤلاء هم (الاشتراكيون الاصلاحيون) او (اليسار المعتدل)⁽¹²⁾.

(12) عدي إبراهيم المناوي، التيارات السياسية العلمانية وصناعة الرأي العام: دراسة حالة العراق بعد عام 2003، ط1، دار زهران للنشر والتوزيع، الاردن، 2013، ص22.

وبالعودة الى الشعبوية ومسارها في اطار فكرة الطيف السياسي، نجد ان الشعبوية تقع في اقصى اليمين (اليمن المتطرف) واقصى اليسار (اليسار المتطرف) من الطيف السياسي، فالشعبوية اليمينية تجمع بين سياسات اليمين المتطرف وخطابه، وهي الشعبوية المتواجدة في الولايات المتحدة الامريكية واوروبا على وجه التحديد. والشعبوية اليسارية وهي متواجدة في امريكا اللاتينية.

اطروحات تفسير الظاهرة الشعبوية:

دائماً ما نستند في الحديث عن الشعبوية الى اطروحات علم الاجتماع، وتحديدًا علم الاجتماع السياسي، فمحاولة تفكيك الظاهرة الشعبوية يتطلب في الاساس الاستناد الى اطروحات علم الاجتماع المعاصر لفهم هذه الظاهرة ومواقفها وخطابها السياسي، والحديث عن تلك الاطروحات التي ستسهم في بناء الوعي الايديولوجي للشعبوية، يمثل في حقيقته البحث عن منطق الشعبوية وركائزها الرئيسة، ومن هذه الاطروحات:

اولاً: أطروحة الانهيار الاجتماعي:

تفترض هذه الاطروحة أن الأفراد المعزولين اجتماعياً الذين يعيشون في مجتمعات مفتتة اجتماعياً من المرجح أن يدعموا الأحزاب الشعبوية. وعلى وفق هذه النظرية فإن حقيقة أن الهياكل الاجتماعية التقليدية القائمة على الطبقة والدين تحطم الأفراد، تفتقر إلى الشعور بالانتماء وتنجذب إلى الأحزاب القومية العرقية لأنه من الناحية النفسية، يؤدي ذلك إلى زيادة الإحساس بالثقة بالنفس والفعالية⁽¹³⁾.

Fella, S. And Ruzza, C. Rein- (13) venting the Italian Right: Territorial politics, populism and post-fascism, Abingdon: Routledge, (2009), p 215

ثانياً: أطروحة الحرمان النسبي:

وهي اطروحة تستخدم لشرح قاعدة دعم الاحزاب الشعبوية، اذ يدعم الأفراد هذه

بسبب الإحباط الناجم عن مشاعر الحرمان النسبي بالمقارنة مع ماضيه أو مع مجموعات وفئات اجتماعية حولهم⁽¹⁴⁾. ويؤكد سمور مارتن لبيست (1922 - 2006) ان الشعبوية بوصفها حركات جماهيرية معادية للديمقراطية بالمعنى الواسع...، لذا فالرابط بين الجماهير مع الشعبوية هو رابط نفسي - اجتماعي لحرمان نسبي⁽¹⁵⁾.

ثالثاً: أطروحة التنافس العرقي:

تفترض هذه الأطروحة أن الأفراد يدعمون الأحزاب السياسية الشعبوية لأنهم يرغبون في الحد من المنافسة من المهاجرين على الموارد الشحيحة مثل فرص العمل والتأمين الصحي والإسكان والرعاية الاجتماعية⁽¹⁶⁾.

الوعاء الايديولوجي للشعبوية الجديدة:

لا نريد هنا ارساء تعريف عميق للايديولوجيا، ويكفي ان نعرفها بكيفية تقريبية: انها نسق «له منطق ودقته الخاصان» من التمثلات (صور واساطير وافكار وتصورات حسب الاحوال)، يتمتع داخل مجتمع ما، بوجود ودور تاريخيين⁽¹⁷⁾. عندما تنتقد الشعبوية، فانها لا تنتقد بسبب برامجها السياسية التي يعتقد انها خطيرة فقط، بل تنتقد بسبب منطلقاتها الايديولوجية والاجتماعية، ومنظومتها الفكرية⁽¹⁸⁾. وعليه يمكن ان نقول ان الشعبوية تركز الى:

اولاً - أدلوجة الشعب - الامة:

تطلق الشعبوية (populism) على نزعة في التفكير السياسي تجنح لتقديس الشعب وحسبانه مستودع الحقيقة المطلقة ومناطق الخلاص النهائي من شرور العالم. مايقوله الشعب - في عرف دعاة هذه النزعة - هو القول الحق الذي ما بعده قول موثوق، وهو الحكمة التي تختزل دروس التاريخ وتصوغ خلاصته⁽¹⁹⁾. تضع هذه النزعة نفسها مقابل النخبوية التي تحتقر الشعب والجماهير، وتحتقر الفكر وتقديس الممارسة، لان التفكير النظري في نظره ثروة مجردة وفارغة، كما تقديس العفوية بما هي تعبير اصيل عن جوهر الشعب النفيس، والى مديح الفوضوية والغوغائية من حيث هي ترجمة لـ (المبادرة) الجماهيرية الحرة والمتحررة من قيود التنظيم البيروقراطي للحزب والنقابة وسواهما من المؤسسات⁽²⁰⁾. يقول (بنيتو موسوليني): «أن الفاشية لا تحتاج الى عقيدة بل الى نظام انضباط وقال نحن الفاشيون لدينا الشجاعة أن نرفض جميع النظريات السياسية التقليدية فنحن أرسوقراطيون وديموقراطيون وثوريون ورجعيون وبروليتاريون ومناوئون للبروليتاريين وسلميون وأعداء السلام، يكفي أن يكون لدينا نقطة ثابتة واحدة: هي الأمة»⁽²¹⁾.

(14) انتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة: الدكتور فايز الضباغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت، 2005، ص699.

(15) عزمي بشارة، في الاجابة على السؤال ما الشعبوية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2019، ص7.

(16) Rydgren, Jens; Ruth, Patrick. (16) "Voting for the radical right in Swedish municipalities: social marginality and ethnic competition?" Scandinavian Political Studies. Wiley. (September 2011) p34

(17) محمد سيلا وعبد السلام بنعيد العالي، الحداثة الفلسفية: نصوص مختارة، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص129.

(18) بشير عبد الفتاح، أزمة الهيمنة الامريكية، ط1، شكرة نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2010، ص226.

(19) عبد الاله بلقزيز، نقد السياسة في امراض العمل السياسي، المركز الثقافي للكتاب، ط1، المغرب 2019، ص121.

(20) المصدر نفسه، ص122.

(21) نقلًا عن: جان توشار، ج3، ترجمة: ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2010، ص1033.

ويعتقد (محمد اركون) ان الظاهرة الشعبوية ما هي الا عبارة عن مرحلة حديثة من مراحل الديالكتيك الاجتماعي والثقافي والسياسي العتيق الذي جسد دائماً نوعاً من التوتر والتضاد بين النخبة والجماهير او بين العامة والخاصة⁽²²⁾. كما ان الظاهرة الشعبوية ناتجة عن عوامل عدة متنوعة ومعقدة هي اللاستمرارية او القطيعة او القطيعة التاريخية (الماضي المجيد للامة)، ثم اقتلاع الفلاحين من جذورهم الريفية وتبعثرهم الاجتماعي، ثم التفتت والضياغ الثقافي، ثم تفكك ذاكرة الجماعة الفتوية قبل التوصل الى تشكيل اي وعي تاريخي قومي، ثم التحول الى الرأسمال الروحي للدين الى وظيفة رسمية تابعة للدولة واستخدامه فقط من اجل خلع المشروعية عن السلطة السياسية⁽²³⁾. وعموماً فإن الشعبوية ذات خطاب قومي عاطفي بسيط يؤدي بشكل مباشر أو غير مباشر الى تزييف الوعي الأمريكي، والعمل على تجاوز منجزات العقل الأمريكي، كمنجز الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، والارتكاز على مفهوم الامة، يحدد (كريغ كالهون) القومية، في معرض انتقاده ورفضه لنزع معظم التحليلات السائدة إلى تشبيء الأمم: أنها تشكيل خطابي طريقة في الكلام تشكل وعينا⁽²⁴⁾، والقومية على رأي كالهون هي الشعبوية بروحها وذاتها.

(22) محمد اركون، مصدر سبق ذكره، ص152.

(23) المصدر نفسه، ص152.

(24) اوموت اوزكيرملي، نظريات القومية: مقدمة نقدية، ترجمة: معين الإمام، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص399.

ترادف الشعبوية كما يعتقد (عبد الاله بلقزيز) الفوضوية والعفوية التنظيمية والتجريبية القتالة في التفكير، وهي جميعها امراض لازمت العمل السياسي منذ القرن التاسع عشر، في الغرب، فأنتجت حالات سياسية باثولوجية من طراز الفوضوية النقاوية على شالكة الطراز الباكونيني، والعدمية، والبلانكية، والنازية،... وان اسوء ما في الشعبوية أنها تؤسس لمتيازات سياسية جديدة، بل قل للاهوت سياسي جديد، هو لاهوت الشعب⁽²⁵⁾. لذا يمكن القول أن الخطاب الشعبوي يتألف من الآراء المعادية للنخبوية، ومعارضة المؤسسة الحاكمة، والتحدث إلى (عامة الشعب). وعلى هذا الاساس تجيد الشعبوية الأمريكية دق الاسفين في المجتمع الأمريكي، من خلال بناء خطاب يفصل بين الأمة القومية وبين المجموعات الوافدة، والتعبير عن الكره الشديد للاجانب.

(25) عبد الاله بلقزيز، مصدر سبق ذكره، ص122.

ثانياً - أدلوجة: تخيل التفوق على الآخر:

يرى مارك سكسر (Marc Saxer) «ان الشعبوية تهدف إلى استعادة الحكم (النظام والسيطرة) لعالم متزايد التعقيد من خلال تجانس المجتمع»⁽²⁶⁾. وتجانس المجتمع لا يمكن في حالة وجود المجموعات الاثنية المتعددة الوافدة (المهاجرين)، لذلك يجد في فكرة الاستعلائية على الاخر والتفوق الاثني فكرة خصبة للترويج

marc saxer, Ten Theses For The Fight Against Right-Wing Populism, Article published on the website: <https://www.social-europe.eu/ten-theses-fight-right-wing-populism>

لبرنامج السياسي، يقول (سيدانيوس) أن معظم أشكال الاضطهاد بما فيها العنصرية (Racism)، والتمركز الاثني (بما فيه اضطهاد الأقليات الدينية) والجنسوية، والتعصب القومي والطبقية، فضلاً عن العديد من الاتجاهات الاجتماعية، والدوافع الإنسانية، والمؤسسات الاجتماعية، تنشأ جميعها للحفاظ على تماسك هذا البناء التراتبي القائم على أساس جماعي⁽²⁷⁾. في حين ترى كارولين إمكه (Carolyn Emcke) أن أخطر شيء يهدد الديمقراطية اليوم، هو ما تسميه بأيدولوجية النقاء، سواء الديني أو العرقي، وهي تلك الأيدولوجية التي ترفض تجاوز تقاليد وقناعات دينية مختلفة⁽²⁸⁾. أما مارك سكسر (Marc Saxer) فيرى أن الشعبوية كظاهرة تصر على أنها لا ترفض الآخر في حد ذاته بل تسعى ببساطة إلى فصل الثقافات التي لا يمكن التوفيق بينها في أماكن محددة بوضوح⁽²⁹⁾. لذا تصور الشعبوية المهاجرين بعدهم تهديداً للهوية الوطنية، وسبب رئيس لمشكلة البطالة وظهور الارهاب في المجتمع الأمريكي. كما يشكل العداء للأجانب، ورفض الاقليات وفكرة التعددية الثقافية، والدفاع عن هوية اثنو وطنية وعن التقاليد القومية التاريخية، والدعوة الى الحد من الهجرة، القاعدة الرئيسة للشعبوية الأمريكية الجديدة⁽³⁰⁾. تتبنى المفكرة (شانتال بوف) وجهة نظر الكاتب (أرنستو لاكلو) الذي أوضح في كتابه «منطق الشعبوية» أن الشعبوية ليست أيدولوجية أو عقيدة، إنما وسيلة لإرساء حدود سياسية أو للفرز السياسي. بالنسبة لي، فإن السياسة هي دائماً أداة لإقامة الحدود بين «نحن» و«هم»، ومن الممكن أن يتم بناء هذه الحدود بأشكال مختلفة جداً⁽³¹⁾.

فالخطاب القومي الشعبوي يقسم العالم إلى «نحن» و«هم» و«أصدقاء» و«أعداء»، ويضع الهوية المتجانسة والثابتة على جانبيين، ويشدد على السمات والصفات التي تميز «نحن» من «هم»، يحدد زعم الهوية سياسياً بطريقتين اثنتين⁽³²⁾:

أولاً: يذكر أن لقيم الأمة الأولوية المطلقة، وأن الولاء للأمة يتجاوز أشكال الولاء الأخرى كلها فردية أو جماعية.

ثانياً: يقدم الأمة بوصفها المصدر النهائي للشرعية السياسية والاجتماعية ومن ثم السيادة.

في الجانب الآخر، ومن ضمن الشعبوية كأيدولوجيا، وهي متناقضة كما يبدو، أن الافراد المتفوقين يجب أن يكون لهم حقوق أكبر من الأفراد الأقل شأن، استناداً الى فكرة الحق القومي المتطرف، وقد أيدت الشعبوية تاريخياً المجتمع النخبوي على أساس إيمانه بشرعية حكم الأقلية المتفوقة على الجماهير الشعبية⁽³³⁾. وهذه

(27) نقلا عن: دايفد باترك هوتون، علم النفس السياسي، ترجمة ياسمين حداد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2015، ص 285.

(28) رشيد بوطيب، كارولين إمكه.. أفكار حول سياسات الحقد، مقال منشور على الموقع التالي: www.alaraby-co-uk.cdn.ampproject.org

(29) Marc Saxer. ibid

(30) رابح زغوني، الاسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوروبا: مقاربة سوسيولغرافية، مجلة المستقبل العربي، العدد (421)، تصدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، 2014، ص 3.

(31) حوار مع المفكرة السياسية شانتال موف، صحيفة قاسيون، تاريخ الزيارة: 2020/11/26 متوفر على الرابط التالي: <https://kassioun.org/world-news/item/57307-31090>

(32) اوموت اوزكريملي، مصدر سبق ذكره، ص 367.

(33) Oliver H. Woshinsky. Explain- ing Politics: Culture, Institutions, and Political Behavior, Oxon- England- New York City, United States: Routledge, 2008, p 154

من النقاط التي تُعد متناقضة مع جوهر الشعبوية الجديدة التي تقدم الشعب على النخب.

ثالثاً - أدلوجة أحقية الحكم - أولوية الحكم والسلطة:

تبدو المطالبة باهتمام الدولة غير قابل للفصل عن الرغبة في العدالة والانسجام مع السلطة العامة، ولية نعمة الامة حسب تعبير (بياتريس هيبو) الذي يرى ان مسألة الامن الاقتصادي والاجتماعي هي في كثير من الاحيان قضية وطنية تتعلق بالرغبة في الوحدة الوطنية⁽³⁴⁾. كما إن التركيز السلطوي المقدم على الحرية في عقل الطبقات الشعبية الأمريكية ناتج عن الخوف من انحرافات المجتمع «المبالغ في الحرية»، وهي القاعدة التي تستند إليها الشعبوية بشكل كامل، اذ تشكل الحرية والافكار الليبرالية بشكل عام عامل قلق بالنسبة لها اي (الشعبوية)، لذ يركز على محور السلطة لتحديد الحرية (المزيد من السلطة والقليل من الحرية).

(34) بياتريس هيبو، التشريع السياسي للسيطرة، ترجمة: غايزي برو ونيل، ابو صعب، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2017، ص103.

رابعاً - أدلوجة معاداة الحداثة، والبحث عن حداثه بديلة:

إن بروز الشعبوية في الولايات المتحدة الأمريكية كان نتيجة لجملة من العوامل، يتمثل العامل الفكري في انحسار التوق إلى الحرية الذي غزا أوجه السلوك الأمريكي بمعزل عن أوجه الوعي، واستقر هذا التقهقر (الأخلاقي) في المشهد العقلي تدريجياً، وتعمق في العقود الأخيرة، ويرجع (هوغ لاغرانج) هذا الانحسار إلى أسباب تتعلق في ارتفاع أسعار النفط، وتباطؤ النمو الاقتصادي، وتزايد البطالة، وشيخوخة السكان الذي بدأ في الدول الغربية منذ ثلاثين سنة، وما يدل على ذلك أن معاداة الحداثة (معاداة الحداثة بحثاً عن الحداثة) خلال الثلاثين سنة الأخيرة تعبر

**توجه انتقادات كبيرة من
الشعبيين إلى النخب
الحاكمة التي يعتبرونها
فاسدة ولم تعد «تمثل
الشعب»**

عن نفسها في إصطلاحات تعبيرية مختلفة، ولكنها تتلاقى عند نقد أوجه الإفراط في الحرية⁽³⁵⁾. في الولايات المتحدة الأمريكية، لم يصاحب الحداثة تآكل في بنية الدولة - الأمة، ولا اندماج في كيان سياسي حقيقي، لذا تتمسك الشعبوية بالاعتقاد بمبدأ السيادة الوطنية الكاملة للدولة القومية. كما اعتبرت صعود الأحزاب السياسية اليمينية المتطرفة بمثابة رفض للقيم (ما بعد المادية)⁽³⁶⁾ من جانب بعض النخبين⁽³⁷⁾.

(35) هوغ لاغرانج، مصدر سبق ذكره، ص 39 - 40.

(36) ما بعد المادية: هي النزعة إلى التحول من تقييم الأفراد على أساس القيم المادية والاقتصادية إلى قيم الاستقلالية والتعبير عن الذات.

خامساً - أدلوجة معاداة النخبوية والمؤسسة الديمقراطية:

تمثل ادلوجة معاداة النخبوية او النخبة السياسية أصلاً مهماً في منطق النزعة الشعبوية، حيث توجه انتقادات كبيرة من الشعبويين إلى النخب الحاكمة التي يعتبرونها فاسدة ولم تعد «تمثل الشعب» الذي ينبغي أن يكون سيد نفسه ومالكاً لإرادته السياسية.

(37) Rydgren, J. The Sociology of (37) the Radical Right, ibid p247

وبالعودة الى (يان فيرنر مولر) حيث نجده يعرف الشعبوية باعتبارها «موقفاً مناهضاً للمؤسسة؛ يصل إلى حد معاداة التعددية السياسية، التي تتجلى في المطالبة الأساسية باحتكار أخلاقي للتمثيل»، تمثيل الشعب. إن الشعبوية على حد وصف (مولر) لا تحيل فقط على الشعب، بل على موقف سياسي من المشهد السياسي السائد الذي تنسج خيوطه «النخبة» التي يراها «ممثلو الشعب الحقيقيون» فاسدة. وهكذا ستغدو الشعبوية تعبيراً عن موقف سياسي وعن تيار سياسي بعينه⁽³⁸⁾.

يقضة الشعبوية وانحسار الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية:

إن ارهاصات الشعبوية ومقدماتها كانت في الولايات المتحدة الأمريكية (حزب الشعب) الحركة الفلاحية الأمريكية، كما انبثقت من الثورة الأمريكية المتمثلة بسيادة الشعب، إذ أن دستور الولايات المتحدة الأمريكية يبدأ بعبارة «نحن الشعب»⁽³⁹⁾... وعمدت بعض الولايات الأمريكية الى تبني دساتير جديدة قائمة على الارادة الشعبية... التي لا تحتاج أي قانون موجود قبلاً حتى يتصرف الشعب باعتباره شعباً ويرى نفسه مصدراً للقانون ومثلاً عملياً على سلطة متأصلة في شعب سيد⁽⁴⁰⁾. وبما أن الشعبوية تعني من جانب آخر السيادة للشعب، وهو المبدأ الأول للديمقراطية مع انه، كما التقدم وكما الحرية، يمكن أن يصبح تهديداً لها، وهذا ما يكشف عن التضاد الحالي بين الشعب والجماهير وبين الديمقراطية والشعبوية⁽⁴¹⁾. أن الشعبوية والليبرالية المغالية، والمسيحانية، وهي نزعات معادية للديمقراطية في الصميم، إذ تعززت الشعبوية على حساب الديمقراطية⁽⁴²⁾. على الرغم من أن الشعبوية ليست بالضرورة معادية للديمقراطية، لكنها ليست ليبرالية. إذن الليبرالية تشكل المعوق الرئيس للشعبوية وليس الديمقراطية، وبشكل ادق الديمقراطية الليبرالية تشكل المعوق الرئيس للشعبوية. ويذهب (عزمي بشارة) في القول أن الشعبوية ما هي الا افراز ونتيجة للخلل البنوي في الديمقراطية الليبرالية لذا وجب علينا ان نميز خطر الشعبوية على الديمقراطية الليبرالية، والاحيرة قادرة على احتوائها والتخفيف من حدتها وبين خطر الشعبوية على الديمقراطيات الوليدة، او تلك التي تظهر في مرحلة الانتقال من نظام سلطوي، فهي بذلك تشكل خطراً حقيقياً⁽⁴³⁾. يؤكد (رنارد كريك) في مؤلفه اللامع (في الدفاع عن السياسة)، أن الديمقراطية اليوم في العالم الغربي المعاصر تعاني من تشويش خطير حيث: «يمكن أن تعني كل شيء لكل الرجال ولكل النساء». وإن مثل هذا التشويش نتج عنه ذلك الربط التعسفي للشعبوية بالديمقراطية، في حين أن تلك ليست سوى إحدى أهم نقاط ضعف هذه وهشاشتها⁽⁴⁴⁾.

(38) يان فيرنر مولر، ما الشعبوية، ترجمة رشيد بوطيب، الدوحة، منتدى العلاقات العربية والدولية، 2017، ص 26 و 27.

(39) تشارلز تيايلر، المتخيلات الاجتماعية الحديثة، ترجمة: الحارث النيهاني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2015، ص 130.

(40) المصدر نفسه، ص 132.

(41) تزفيتان تودوروف، مصدر سبق ذكره، ص 141.

(42) المصدر نفسه، ص 152.

(43) عزمي بشارة، الشعبوية والازمة الدائمة للديمقراطية، مجلة سياسات عربية، المركز العربي للدراسات العدد ٤٠، ايلول، ٢٠١٩، ص ٨.

(44) محمد الشيخ، الديمقراطية والنزعة الشعبوية، الرباط، مجلة النهضة، عدد 5 و 6، 2013، ص 117.

يصر (يان فيرنر مولر) على ان الشعبوية تهدد الديمقراطية، كما إن الشعبويين ليسوا أحزاب رفض أو أحزاباً احتجاجية، ولهذا لا يمكن الحكم عليهم بأنهم غير قادرين على إدارة دفة السلطة، بل إنهم يحكمون في توافق مع المنطق الداخلي للشعبوية: هم، وفقط هم من يمثل الشعب الحقيقي، ولهذا لا يمكن وجود معارضة شرعية لهم⁽⁴⁵⁾. لذا يمكن عد الديمقراطية شيئاً ذا حدين، فهي من جهة تعمل وبصورة مباشرة على تقويض الشعبوية كمرحلة احترازية وتفضح التوجهات الشعبوية، ومن جهة أخرى هي وسيلة - اي الديمقراطية - فعالة للشعبوية للوصول للسلطة، وإلا كيف نفسر وصول قائدين شعبويين - هتلر وموسوليني - الى السلطة من خلال آلية الديمقراطية. (منى خويص) ترى عكس ذلك، اذ ان آليات العمل الديمقراطي تحد من فاعلية الشعبوية، لأن بروز الأخيرة في تلك المجتمعات، قد يحدث قلقاً، ويسبب هزة في داخلها⁽⁴⁶⁾. لذا تستهدف الشعبوية بنية الأحزاب والمنظمات ومؤسسات الديمقراطية، وغايتها في احسن الاحوال هي الوصول إلى ديمقراطية شعبية تقوم على أساس العلاقة المباشرة بين القائد والشعب. في هذه الاثناء يعود (مولر) ويشير فكرة مهمة إذ يرى أن استخدام «الشعبوية كترديد لمصطلح (الديمقراطية) في مناسبات عدة أثر سلباً على الأخيرة. وإن بدا أن الشعبويين يمثلون الشعب، وبالتالي إن أي خيار يقدمون عليه يُعد ديمقراطياً، ففي الحقيقة إن الشعبوية «يمكن أن تظهر غالباً كحركة ديمقراطية أو كديمقراطية راديكالية، لكنها في صميمها تقف على النقيض من الديمقراطية». لكن ذلك لا يعني أنها لا ترتبط بالديمقراطية، وما ينبغي الانتباه إليه أيضاً أنها تشكل المسار الخطأ لتصحيح مسار الديمقراطية المعطوب⁽⁴⁷⁾.

(45) يان فيرنر مولر، مصدر سبق ذكره.

(46) منى خويص، مصدر سبق ذكره، ص35.

(47) مولر، ما الشعبوية، المصدر نفسه، ص29، وص 14.

**لا انفكاك ولا انفصال بين
ما هو سياسي وما هو
ديني في المنظومة
الفكرية للشعبوية
الأمريكية**

المسيحية وتحديد مسار الشعبوية الأمريكية الجديدة:

اعطى فوز ترامب في الانتخابات الأمريكية السابقة 2016 زخماً ودعماً لأحزاب الشعبوية في أمريكا وفي أوروبا أيضاً، اذ تشكل رئاسة دونالد ترامب تعزيزاً لترسانة الحركات الشعبوية في العالم، وتقدم الرأس المال الايديولوجي للانعزاليين⁽⁴⁸⁾. وفي إطار الحديث عن جذور الشعبوية الأمريكية نجد أن الخطاب الشعبوي الأمريكي المعاصر مستنداً بالدرجة الأساس على مفهوم الامة المسيحية، أذ يؤكد (ميشيل غولبيرغ): «في الولايات المتحدة الأمريكية ما كان لأي انتصارات الشعبوية ان تتحقق، لولا ايديولوجية الامة المسيحية»⁽⁴⁹⁾. اذن لا انفكاك ولا انفصال بين ما هو سياسي وما هو ديني في المنظومة الفكرية للشعبوية الأمريكية، اذ يوجد هناك

(48) محمد الشرقاوي، رئاسة دونالد ترامب: اليمين المتطرف ونهاية الاستثناء الأمريكي، مجلة اواصر، العدد الاول، صيف 2017، ص95.

(49) ميشيل غولديبيرغ، قدوم مملكة: تنامي النزعة القومية المسيحية في الولايات المتحدة، ترجمة: عبد اللطيف موسى أبو البصل، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2009، ص45.